



الحرية في الإسلام

خطب المناسبات

خطبة جمعة

2025-02-07

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملأ السماوات والأرض، وملأ ما بينهما وملأ ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نصل في هُداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمةً للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنّا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آل نبينا محمد، وعلى أصحاب نبينا محمد، وعلى أزواج نبينا محمد، وعلى ذرّية نبينا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

الحرية قيمة عالية ومطلبٌ مُحقٌّ لكل شعوب الأرض:

وبعد أيّها الإخوة الأحباب: قبل أكثر من أربع عشرة سنة، خرج السوريون في بلادهم وفي محافظاتها شتى يطالبون بالحرية، والحرية كلمة بَرّاقة، تتوق إليها النفوس السليمة، ويرجوها أصحاب العقول الراجحة، ما أجمل أن تكون حراً، ما أجمل أن يكون قرارك بيدك، ما أجمل أن تملك قرارك ووطنك، الحرية قيمة عالية، ومطلبٌ مُحقٌّ، لكل شعوب الأرض، ولكل أفراد الأرض، بل إنَّ الشريعة الإسلامية جاءت لتحرر الإنسان، لتعطيه حريته، بل لقد عدَّ العلماء الحرية مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية، أن يُحرَّر الإنسان، أن يخرج من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد.

أيّها الإخوة الكرام: لقد جعل الله تعالى الإنسان حراً في اختياره، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)

(سورة يونس)

كيف يجعل الله الناس جميعاً مؤمنين؟ يسلبهم اختيارهم، يمنعهم حريتهم، فيختار الجميع الإيمان قسراً وعندها لا قيمة له، لأنَّ الإنسان لا يُتَمَن عمله ولا يعطيه قيمة إلا أنه مختار، يختار الإيمان فيسمو به، أمّا لو أُجبر عليه، لما ارتقى عند ربه، ولما استحق جنة عرضها السماوات والأرض (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) لا يستطيع إنسانٌ أن يُكره إنساناً ولو على الإيمان.

الحرية مقصداً من مقاصد الشريعة:

لذلك أئها الكرام: عد العلماء الحرية مقصداً من مقاصد الشريعة، فإذا أكره الإنسان على شيء، فإنه لا يحاسب عليه عند ربه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما

استكروها عليه }

(رواه ابن ماجه والبيهقي)

فلا يُعد الإنسان مُحاسباً إذا أكره على فعل شيء، إلا ضمن حالات خاصة، يُفضلها الفقه، كأن يُكره على قتل إنسان، فإنه لا يجوز له أن يقتله، اليوم أن يخرج إنسان يقول كنت مُكرهاً! قتلت بناءً على أوامر، هذه الحالة لا يُباح فيها الإكراه حتى لو قُلت.

أئها الإخوة الكرام: الإكراه يرفع التكليف، أو يُخفف العقوبة، فهو مُحترَّم في الإسلام، أن تُكره إنساناً على شيء، يقول تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ سَرَّحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ (106)

(سورة النحل)

هذا لا يُسمَّى كفراً (أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ) بل لقد جعل الله تعالى الكفارة لكثير من المعاصي، جعلها تحرير رقبة، أن تُحرر الإنسان أن تفك قيده

جاء الإسلام ليحرر الرقاب وليجعل الإنسان حراً:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا افْتَحِمِ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13)

(سورة البلد)

أول شيء (فَكُّ رَقَبَةٍ) ثم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ (14)

(سورة البلد)

أول مقصد يجعلك تفتحم العقبة وتتجاوزها إلى ربك، أن تفك رقبة، أن تُعتق إنساناً، أن تحرره، في الظهار إذا ظاهر الإنسان امرأته فكفَّارته تحرير رقبة، كفارة اليمين تحرير رقبة

أولاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ۖ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَلْكَ حُدُودَ
اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)

(سورة المجادلة)

القتل الخطأ تحرير رقبة، إذا جاء الإسلام ليحرر الرقاب، ليفك الرقاب، ليجعل الإنسان حراً خالصاً لربه.

أُيِّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّاءُ: من يقول اليوم إنَّ الإسلام استعبد الناس، فهو لم يقرأ دين الله تعالى، الإسلام جاء والعرب وغير العرب يتعاملون بالعبودية، عبيد وإماء، فوجد الواقع قائماً فالغاه، لكن لم يبلغه دفعةً واحدة، لأن ذلك ليس من الحكمة في شيء، فلو قال النبي صلى الله عليه وسلم في لحظة، أعتقوا كل العبيد، لنشأ لدينا مجموعة كبيرة من الناس، الذين لا ماوى لهم ولا عمل لهم، سيصبحون قطاع طرق يغير إيمان، فعالج الإسلام هذه الناحية بحكمة عظيمة، جفّف المداخل، ووسّع المخارج، حتى انتهت العبودية بعد حين إلى غير رجعة، الإسلام جاء لتحرير العبيد، ولم يأت أبداً لاستعباد الناس.

العبودية لله تعالى أعظم مظاهر الحرية:

أُيِّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ: العبودية لله تعالى أعظم مظاهر الحرية، وسأدلل على ما أقول:

العبودية لله أعظم مظاهر الحرية، نعم، لأنه لا يوجد نظام في الأرض عنده حرية مطلقة، لا في شرق ولا في غرب، كل الأنظمة في العالم التي تقول لك حرية وديمقراطية، هي حرية وديمقراطية وفق القوانين التي يضعونها، إذا لن تجد مكاناً في الأرض، تكون فيه حراً مطلقاً تفعل ما تشاء، كل دولة لها مقدسات يُمنع المساس بها، لها قوانين يُعاقب مُخالفتها، تنظم لنفسها حريتها التي تريدها هي، أمّا حرية مطلقة، هذا كلام غير موجود في الدنيا كلها.

إذاً كل الناس عبيد، لكن المؤمن وحده جعل عبوديته لربه فقط، فهو الحر فقط، لأنه لا يستعبده أحد في الأرض، لا يملك أمره إلا الله

{ اعملْ لوجهِ واحدٍ يكفكِ الوجوهَ كُلَّهَا }

(الأباني السلسلة الضعيفة)

قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ جَعَلَ الْهَمومَ هَمًّا واحِدًا هَمَّ المعادِ كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ وَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِ الْهَمومُ فِي أحوالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أودِيَّتِهِ هَلَكَ }

(صحيح ابن ماجه)

تتشعب به الهموم، فيستعبده المال، وتستعبده النساء، وتستعبده الشهوات، وتستعبده الشبهات، ثم (لم يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أودِيَّتِهِ هَلَكَ) أمّا المؤمن وحده، فلا يحني رأسه إلا لخالفه، ولا يعبد إلا ربه، فهو الحر الوحيد، وسواه عبيد يعبدون الدنيا.

لذلك أُيِّهَا الْكِرَامُ: يقول صلى الله عليه وسلم:

{ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ الدَّرْهِمِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ ، تَعِسَ وانتكسَ وإذا شيك فلا انتقشَ }

(أخرجه البخاري)

يعبد نياحه، يلبس أجمل الثياب، يبيع دينه من أجل نياحه، يؤذي الناس ويضرهم، من أجل أن يشتري أوفر الثياب ويباهي الناس بها، هذا هو العبد، أمّا المؤمن حرٌّ لأنه لا يعبد إلا خالفه

{ لو كانت الدُّنْيَا تعديلاً عند الله جناح بعوضٍ ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ }

هي همُّ من الهموم، من مثا ليس من همومه الدنيا؟ يريد أن يُدرّس أولاده، وأن يُربّيهم، وأن يُعلّمهم أحسن تعليم، وأن يأكل ويشرب، ويركب مركبة، الدنيا همّ، ولكنها عند المؤمن ليست أكبر همّ، أكبر الهمّ هو رضا الله، هو الآخرة، لذلك يتحرّر من العبوديات الصّيقة ويلتجئ إلى خالقه.

الحرية أن تتصرف وفق القوانين التي تحفظ أمن الناس وكرامتهم:

أيها الأجيال: كانوا يقولون منذ أن كنّا صغاراً، تنتهي حربتك عندما تبدأ حرية الآخرين، وهذا مبدأ صحيح، لكن في الشرع لا يكفي هذا المبدأ وحده، تنتهي حربتك عندما تبدأ حرية الآخرين نعم، وتنتهي حربتك عندما يكون هناك نصّ شرعي، المسلم يقول: تنتهي حربتي عندما يكون هناك نصّ شرعي، وعندما تبدأ حرية الآخرين حتى لا أؤذي أحداً، ولو كنت في مباح.

الخُباب بن المنذر جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في معركة بدر، قال:

{ رأيت هذا المنزل، أمّنزلًا أنزلكهُ اللهُ، ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه، أم هو الرّأي والحرب والمكيده؟ قال: بل هو الرّأي والحرب والمكيده. قال يا رسولَ اللهِ فإنّ هذا ليس بمنزل، امضِ بالنّاسِ حتّى تأتي أدنى ماءٍ من القومِ فنعسِكَر فيه، ثمّ تعوّر ما وراءه من الآبار، ثمّ تبني عليه حوصًا فنملأه ماءً، ثمّ تقاثلُ القومَ فنشربُ ولا يشربونَ، فقال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: لقد أسّرتُ بالرّأي، ثم أمر بإنفاذه، فلم يَجئ نصفُ اللّيلِ حتّى تحوّلوا كما رأى الخُبابُ، وامتلكوا مواقعَ الماءِ. }

(أخرجه الطبراني)

لكن انظر إلى الأدب، سأله أولاً إن كان الأمر من وحي من الله

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِیْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ یَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِیْنًا (36)

(سورة الأحزاب)

أيها الإخوة الكرام: نشر الشائعات ليس من الحرية في شيء.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَاعَوْا بِهِ ۗ وَكَوْنُ رُدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَا تَقُولُوا قَوْلًا مِّنْ دُونِ ذَلِكَ فَتُنكَّرَ عَلَيْهِمْ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ سَتَجِدُنَا أَعْيُنَنَا عَلَيْهِمْ وَمَا نَحْنُ بِفَاعِلِينَ ۗ وَلَا نَحْنُ بِمُؤَدِّيهِمْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (83)

(سورة النساء)

نشر الشائعات ليس من الحرية في شيء، قال صلى الله عليه وسلم:

{ كَفَى بِالْمَرْءِ كِذْبًا أَنْ يَحَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ }

(أخرجه مسلم وأبو داود وابن حبان)

بكل ما سمع، اليوم يعيرونها بالواتس أب والفيس بوك بكلمة منقول، أنت نافل، أنت نقلت الخبر، هو منقول، منقول عن من؟ عن صديقك، وصديقك عن والدته، ووالدته عن الجارة، والجارة من أين أنت به؟ نحن ديننا دين الأسانيد، نحن لا نقل حديثاً، لماذا نقول صحيح وضعيف وموضوع؟ لأننا ندرس السنن، يعني فلان عن فلان عن فلان، يجب أن يكون هناك اتصال بالسنن، ويجب أن يكون كل واحد عدل وضابط، أمين وقوي، ثم بعد ذلك نقل الأخبار دون سنن، من أين جئت بالخبر؟ هكذا قالوا لي، من قال لك؟ وهل هو ثقة؟ وهو من قال له؟ لا يُبرئك أن تنشر شائعةً تضر بالمجتمع وتكتب تحتها منقول، هذا ليس من الحرية في شيء.

إطلاق العبارات النارية فرحاً أو حزناً، ليس من الحرية في شيء، لأنه مُحَرَّم، لأن هناك أناساً يُقتلون بسبب هذه العبارات النارية، وأناساً يُروعون، ليس من الحرية، التدخين في الأماكن العامة ليس حرية، قد يكون حرية في مكانٍ وحدك، أو مع مُدخنين، نسأل الله يُعافي المدخنين، لكنه ليس حرية في الأماكن العامة لأنك تصر بالناس، قيادة السيارة بعكس الاتجاه، كما أرى في بعض شوارع دمشق، ليس من الحرية، هذا من الجهل والتخلف، قطع الإشارة الصوتية ليس حرية، هناك قوانين يجب أن نلتزم بها، نحن أولى الناس بالالتزام بالقوانين، الإساءة إلى الناس ليست حرية، عدم الاستجابة للأوامر ليست حرية، الأوامر التي فيها النفع للمجتمع.

فإذاً أيُّها الكرام: لا بُدَّ أن نعيَّ أنَّ هذا المطلب العظيم الذي طالبتنا به، والذي شاء الله تعالى أن نُحرِّرنا من تلك العبودية، التي كان يُستعبد بها الناس في بلادنا، فله الحمد والمِنَّة على ذلك، لكن ينبغي أن نعرف تماماً ما معنى الحرية في الإسلام، تنتهي حريتك عند وجود التص الشرعي، وتنتهي حريتك عندما تبدأ حرية الآخرين، وليست الحرية أبداً في أن تتصرف كما تشاء، وإنما الحرية في أن تكون عبداً لله تعالى وحده، ولكن لا بُدَّ من التصرف في الحياة، وفق القوانين التي تحفظ أمن الناس وكرامتهم جميعاً.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تخطأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلتنحذِ جذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، وأستغفر الله.

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دياننا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واعفُ عَنَّا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربنا تقبلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السميع العليم، وثُبِّ علينا أَنْتَ التواب الرحيم، واهدنا ووقِّفنا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسينا عليك اتكالنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين، وأنت أرحم الراحمين.

اللهم أهلكنا في عزة، كن لهم يا أرحم الراحمين، أعينهم على أعدائهم وثبهم يا أكرم الأكرمين، انصرهم على عدوِّك وعدوِّهم يا رب العالمين، اللهم انصرنا على أنفسنا وعلى شهواتنا، حتى نتصير لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، ووقِّ القائمين عليه لما فيه مرضاتك، وللعمل بكتابك، وبسُنَّة نبيِّك صلى الله عليه وسلم، واجعلهم خيراً على رعاياهم يا أرحم الراحمين، اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين ولا تعاملنا بفعل المُسيئين، واجعلنا من الشاكرين لك الحامدين، وصلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.